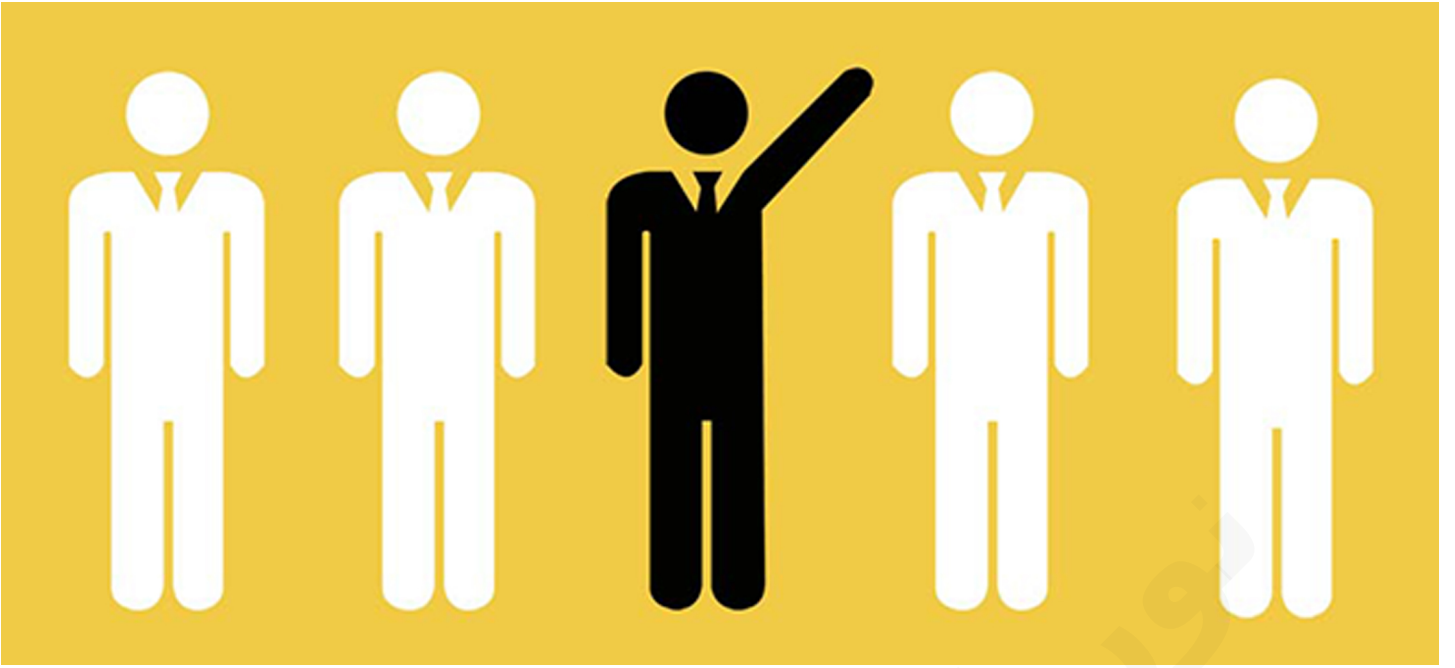




كيف نتحمل المسؤولية

(012) سورة يوسف

خطبة جمعة

2025-12-19

سورية - دمشق

مسجد عبد الغني النابلسي

يا ربنا لك الحمد، ملء السماوات والأرض، وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت، ولا مُعطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، غنى كل فقير، وعز كل ذليل، وقوة كل ضعيف، ومفرج كل ملهوف، فكيف نفتقر في غناك، وكيف نضل في هدايتك، وكيف نذل في عزك، وكيف نضام في سلطانك، وكيف نخشى غيرك، والأمر كله إليك، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرسلته رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً، ليخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات، فجزاه الله عنا خير ما جزي نبياً عن أمته.

اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواج سيدنا محمد، وعلى ذرية سيدنا محمد، وسلّم تسليماً كثيراً.

مقدمة:

وبعد فيا أيها الإخوة الكرام: يُحكى أن رجلاً كان مُستلقياً على شاطئ البحر، وقد أحاط به منه عقرٍ وكان كل من رأى الرجل يقول إنه هالك، لا بُدَّ أن تلدغه العقارب، العجيب أن الرجل لم يُصَبْ بلدغة واحدة لماذا؟ لأن كل عقرٍ كان يقول في نفسه: سأترك المهمة لغيري، لن أرهق نفسي بلدغة، غري يفعلها، فلم يلدغه أحد، فنج الرجل لا لقوة عنده بل لتفاهتهم جميعاً عن المهمة، هذه الطرفة مقدمة لفكرة مفادها، أن هناك من يتحمل المسؤولية وهناك من يُحمّل المسؤولية لغيره.

المؤمن يتحمل المسؤولية:

المؤمن يتحمل المسؤولية، هكذا ينبغي أن يكون، وكثيرون يتخلون عن المسؤولية ويحملونها لغيرهم، وهذا المرض قد تحدّثنا عنه في الخطبة الماضية، من يُحمّل المسؤولية لغيره، إمّا يقول أنا ضعيفٌ غري يحملها، أو يتكبر فيقول أنا لا أخطئ فلا يحمل المسؤولية، وفي النتيجة لا يتحمل المسؤولية إمّا لشعوره بالضعف، أو لشعوره بتضخم الذات، وعلى الحالتين لا يتحمل المسؤولية.

وبيّنا أن آدم وزوجه عصيا رهما في الجنة وأكلا من الشجرة، ولكنهما تحمّلا المسؤولية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ رَبَّنَا طَلَعْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (23)

(سورة الأعراف)

فتاب الله عليهما، بينما إبليس لم يتحمل المسؤولية، أراد أن يُحمّلها لآدم قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۚ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (12)

(سورة الأعراف)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أُخِّرْتُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَخْتَبِكَ دُرِّيَّةً إِلَّا قَلِيلًا (62)

(سورة الإسراء)

المشكلة عنده ليست عندي، ثم حمّل المسؤولية لخالقه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ فِيمَا أُغْوَيْتَنِي لَأَفْعِدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (16)

(سورة الأعراف)

أنت أغويتني، القوي المؤمن الشجاع يتحمل المسؤولية، وغيره يُحمّل المسؤولية للآخرين طائناً أنه ينجو بذلك لكنه عند الله لن ينجو.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقَفَّوهُمْ ۚ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ (24)

(سورة الصافات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَوَرِّكَ لَسَأَلْتَهُمْ أَجْمَعِينَ (92) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (93)

(سورة الحجر)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَلْتَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلْتَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ (6)

(سورة الأعراف)

سواءً تحمّل الإنسان المسؤولية في الدنيا أم لم يتحمّلها، فإنه سيُسأل يوم القيامة شاء أم أبى.

المسؤولية على أنواع:

أيّها الإخوة الكرام: المسؤولية على أنواع، مسؤولية ذاتية تجاه نفسي، ومسؤولية تجاه خالقي، ومسؤولية تجاه الآخرين، هذه مسؤولياتي، هناك مسؤولية تجاه نفسي التي بين جنّتي، وهناك مسؤولية تجاه خالقي، وهناك مسؤولية تجاه الآخرين، أمّا المسؤولية الذاتية قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (72)

(سورة الأحراب)

المسؤولية الذاتية تجاه نفسي:

ما هي الأمانة؟ هي نفسك التي بين جنّتيك، حملها الإنسان قال: أنا لها يا ربّ، أنا أنعهد أن أفوم بمسؤوليتي تجاه نفسي، أن أركبها، أن أحملها على طاعة الله، أن آمرها بالمعروف وأن أنهاها عن المنكر (وحملها الإنسان ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) ظلوماً لنفسه جهولاً بحجم المسؤولية، عندما قال أنا لها ثم لم يحملها.

أمّا المؤمن فليس ظلوماً ولا جهولاً، لأنه قال أنا لها وحملها، يتحدّث القرآن هنا عن الإنسان قبل الإيمان (كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) ظلم نفسه لأنه حمّلها شيئاً لا تستطيعه، وجهل حجم المسؤولية، مثلاً الآن لو قلت لإنسان أمامك هذه الحقبة وزنها مئة كيلو غرام، هل تستطيع أن تحملها؟ قال: أنا لها، ثم جاء ليحملها فلمّا حاول رفعها جاءتته آلامٌ شديدة في ظهره وعجز عن حملها، فأقول له: أنت ظلوم، ظلمت نفسك، أذيت جسمك، أنت لا تستطيع حملها، وأنت جهول لا تعلم أنها ثقيلة، لكن لو قال أنا لها ثم حملها، فهو في أعلى عليين، لأنه تحمّل وحمل فعلاً، قال تعالى مُتَحَدِّثًا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَوْمَ مُوسَى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَثَلُ الَّذِينَ خُمِلُوا الثَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْجَمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا يَنْسُ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (5)

(سورة الجمعة)

وصفٌ في مُنتهى الدقة (خُمِلُوا الثَّوْرَةَ) هذا كتاب الله بين أيديكم، احمِلوه اعملوا بما فيه، خُذوه بقوة، لكنهم لم يعملوا به ثم لم يحملوها، خُمِلُوا فلم يحملوها، قال: (كَمَثَلِ الْجَمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا) ماذا ينفع الحمار لو وضعت على ظهره كتاباً من ألف صفحة في العلوم جميعها؟ ماذا ينفعه؟ لا ينفعه شيء، يحمله لكنه لا يعمل بما فيه.

المسؤولية تجاه أنفسنا أن نركبها:

أيّها الإخوة الكرام: أمّا المسؤولية تجاه خالقنا، فهي أن نقوم بواجب العبودية لله، المسؤولية تجاه أنفسنا أن نركبها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَكَاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (10)

(سورة الشمس)

أن تحملها على الطاعات، أن ننهارها عن المنكرات، أن نملأها بمكارم الأقوال والأفعال، نركبها نخلها من الأدران ونملأها بالخيرات، هذه مسؤولية النفس.

المسؤولية تجاه الخالق:

أما المسؤولية تجاه الخالق، فإن نقوم بواجب العبودية لله تعالى، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وانظروا كيف كان يتحمل المسؤولية صلى الله عليه وسلم:

{ أَنَّنِيَّ اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَفُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَقَطَّرَ قَدَمَاهُ، فَقَالَتْ غَائِثَةُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَفَدَّ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: أَفَلَا أَحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا فَلَمَّا كَثُرَ لَحْمُهُ صَلَّى جَالِسًا، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْكَعَ قَامَ فَقَرَأَ ثُمَّ رَكَعَ }

(أخرجه مسلم وأحمد والطبراني)

أنا وأنت نصلي نرجو أن يغفر الله لنا ذنوبنا، أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد غفر له الذنب الماضي واللاحق إن حصل (وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر) انظروا إلى تحمل المسؤولية قال: (أفلا أحب أن أكون عبدا شكورا) مسؤولية تجاه خالقي أن أعبد حق عبادته، لا أتخلي عن مسؤوليتي ولو غفرت الذنوب، فكيف ونحن غارقون في الذنوب نسال الله السلامة.

المسؤولية تجاه الآخرين:

المسؤولية تجاه الآخرين تبدأ من والديك، إلى أهلك الصغيرة، إلى عائلتك الكبيرة، إلى زوجك، إلى أولادك، إلى مجتمعك، إلى أرحامك، إلى أصدقائك، إلى إخوانك في الدين، إلى إخوانك في الوطن، إلى إخوانك في الإنسانية، مسؤولية تجاه كل شيء، حتى تجاه الحيوان الأعجم، هناك مسؤولية تجاهه ألا تؤذيه، هذه المسؤولية تجاه كل الكون من حول الإنسان، المسؤولية تجاه الآخرين.

أيها الإخوة الكرام: وفي هذا المعنى يقول صلى الله عليه وسلم:

{ كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ عَلَيْهِمْ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ وَعَبْدُ الرَّجُلِ رَاعٍ عَلَى بَيْتِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ أَلَا فكلُّكم راعٍ وكلُّكم مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ }

(أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي)

(كلُّكم) أنا وأنت، لا تقل الراعي هو الحاكم، هذا راع رعيته كبيرة وجمله ثقيل وكان الله في عونه، أنا راع وأنت راع لنا رعيته، الرجل في بيته له رعيته، والمرأة في بيتها لها رعيته، ومدير الشركة عنده رعيته، كل من راع، والمعلم في صفه عنده رعيته، والمجاني عنده رعيته، والطبيب رعيته المرضى، وهكذا.. وكل مسؤول عن رعيته حفظ أم ضيع، نصح أم غش، فيفهم المؤمن هنا أن مسؤوليته تجاه الآخرين عظيمة، ألا يظلمهم وأن يحسن إليهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَفُودَهَا النَّاسُ وَالْجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ يُدَادُّ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ
وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (6)

(سورة التحريم)

(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ) هذه المسؤولية الذاتية (نَارًا وَفُودَهَا النَّاسُ وَالْجَارَةُ) هذه المسؤولية تجاه الآخرين.

سيدنا أبو بكر رضي الله عنه تحمّل المسؤولية:

هذا سيدنا أبو بكر رضي الله عنه، تحمّل المسؤولية منذ اللحظة الأولى لوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما قال المسلمون بالآلاف فليحمل واحد منهم المسؤولية، قال: أنا لها أنا أحملها، الناس في هرج ومرج وخزن، حتى عملاق الإسلام عمر رضي الله عنه لا يصدق الخبر، يأتي أبو بكر أحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، يدخل إليه وهو مسجى فيكي:

{ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَاتَ وَأَبُو بَكْرٍ بِالشُّنْحِ، فَكَشَفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَبَّلَهُ قَالَ: أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، طُيِّبَتْ حَيًّا وَمَيِّتًا، ثُمَّ خَرَجَ، فَحَمَدَ اللَّهَ، وَاشْتَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: أَلَا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا، فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ، فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، وَقَالَ: { إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ } وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: { وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ } إِلَى قَوْلِهِ { الشَّاكِرِينَ } قَالَ: فَنَشِخَ النَّاسُ يَبْكُونَ، قَالَ: وَاجْتَمَعَتِ الْأَنْصَارُ إِلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فِي سَفِيْفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، فَقَالُوا: مَيِّتًا أَمِيرٌ، وَمَنْكُمْ أَمِيرٌ، فَذَهَبَ إِلَيْهِمْ أَبُو بَكْرٍ، وَعَمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، فَذَهَبَ عَمَرُ يَتَكَلَّمُ، فَأَسْكَنَهُ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَتَكَلَّمَ أُلْبَغَ النَّاسِ، فَقَالَ فِي كَلَامِهِ: نَحْنُ الْأَمْرَاءُ وَأَنْتُمْ الْوَزَرَاءُ، فَيَايَعُوا عَمَرَ وَأَبَا عُبَيْدَةَ، فَقَالَ عَمَرُ: بَلْ تُبَايَعُكَ أَنْتَ، فَأَنْتَ سَيِّدُنَا وَخَيْرُنَا وَأَحَبُّنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخَذَ عَمَرُ يَدَيْهِ، فَبَايَعَهُ، وَبَايَعَهُ النَّاسُ { (أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي الْأَعْقَادِ وَابْنُ سَعْدٍ فِي الطَّبَقَاتِ الْكُبْرَى)

ما هذا التحمُّلُ للمسؤولية؟! أنا الآن سأحملُ همَّ الدين كله على عاتقي، هذا أبو بكرٍ لذلك هو الصَّديق، لأنه تحمَّلَ المسؤولية من اللحظة الأولى. ارتدَّت بعض العرب، امتنعوا عن دفع الزكاة، أي لا يدفعون حقوق بيت المال، قام أبو بكرٍ هذا الرجل الأسيف، الذي كان إذا صلَّى لا يستبين الناس كلامه من شدَّة بُكائه، هذا الذي نحفظه عن أبي بكرٍ، أنه كان يبكي في الصلاة، في هذا الموقف قال:

{ عن عمر دُكِرَ عندهُ أبو بكرٍ فبَكَى، وَقَالَ: وَدِدْتُ أَنَّ عَمَلِي كُلَّهُ مِثْلُ عَمَلِي يَوْمًا وَاحِدًا مِنْ أَيَّامِهِ وَلَيْلَةً وَاحِدَةً مِنْ لَيَالِيهِ أَمْ لَيْلَتُهُ فَلَيْلَتُهُ سَارَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْغَارِ فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِ قَالَ: وَاللَّهِ لَا تَدْخُلُهُ حَتَّى أَدْخَلَ قَبْلَكَ فَإِنْ كَانَ فِيهِ شَيْءٌ أَصَابَنِي دَوْتُكَ فَدَخَلَ فَكَسَخَهُ وَوَجَدَ فِي جَانِبِهِ ثَقْبًا فَشَقَّ إِزَارَهُ وَسَدَّهَا بِهِ وَبَقِيَ مِنْهَا اثْنَانِ فَأَلْقَمَهُمَا رَجُلَيْهِ ثُمَّ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ادْخُلْ فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَضَعَ رَأْسَهُ فِي جِرِّهِ وَنَامَ فَلَدَغَ أَبُو بَكْرٍ فِي رِجْلِهِ مِنَ الْجَحْرِ وَلَمْ يَتَحَرَّكَ مَخَافَةَ أَنْ يَنْتَبِهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَقَطَتْ دُمُوعُهُ عَلَى وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: مَا لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ؟ قَالَ: لِدَغْتِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي فَتَفَلَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَهَبَ مَا يَجِدُهُ ثُمَّ انْتَقَصَ عَلَيْهِ وَكَانَ سَبَبَ مَوْتِهِ وَأَمَّا يَوْمُهُ فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ارْتَدَّتِ الْعَرَبُ وَقَالُوا: لَا نُؤَدِّي زَكَاةً، فَقَالَ: لَوْ مَنَعُونِي عَقَالًا لَجَاهَدْتُهُمْ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَأْلَفُ النَّاسَ وَارْفُقْ بِهِمْ، فَقَالَ لِي: أَجَبَّاؤُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَخَوَّارُ فِي الْإِسْلَامِ؟ إِنَّهُ قَدْ انْقَطَعَ الْوَحْيُ وَتَمَّ الدِّينُ أَيْنَعُمُ وَأَنَا حَيٌّ؟ { (أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ وَاللَّائِكَاثِي فِي شَرْحِ أَصُولِ الْإِعْتِقَادِ وَابْنُ بَشْرَانَ فِي فَوَائِدِهِ)

أُقَابِلُ اللَّهَ وَأَقُولُ الثَّغَرُ الَّذِي كُنْتُ عَلَيْهِ نَقِصَ الدِّينِ مِنْهُ وَأَنَا شَاهِدٌ! ما هذا التحمُّلُ للمسؤولية؟!

كُلُّ مَثَلٍ مُرَابِطٌ عَلَى ثَغَرِهِ يَتَحَمَّلُ الْمَسْئُولِيَّةَ:

كان السلف يقولون: "أَنْتَ عَلَى ثَغَرٍ مِنْ ثَغْرِ الْإِسْلَامِ فَلَا يُؤْتِيَنَّ الْإِسْلَامَ مِنْ قِبَلِكَ"، كُلُّ مَثَلٍ مُرَابِطٌ عَلَى ثَغَرِهِ، أَيْقُولُ النَّاسُ أَبُو فَلَانٍ يُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ وَبِغَشُّنَا؟ أَوْتِيَّ الْإِسْلَامَ مِنْ قِبَلِكَ، انصرف بعض الناس وهذا ليس عُذْرًا لَهُمْ، انصرفوا عن الصلاة في المسجد قالوا: فَلَانٌ يُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ لَكِنَّهُ يَغِشُّ النَّاسَ! أَنْتَ عَيْنُ الْحِجَابِ عَلَى رَأْسِكَ مُلْتَزِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ ثُمَّ تَغْتَابِينَ خَلْقَ اللَّهِ؟! فَتَأْتِي الْمَرْأَةَ الْمُتَفَلِّتَةَ مِنْ مَنَهِجِ اللَّهِ فَتَقُولُ: انظُرُوا إِلَى فَلَانَةٍ تَزْعُمُ أَنَّهَا صَالِحَةٌ وَلَكِنَّهَا تُؤَدِّي الْبَاسَ بِلِسَانِهَا، أَوْتِيَّ الدِّينَ مِنْ قِبَلِكَ أَنْتَ عَلَى ثَغَرٍ، الطَّيِّبُ عَلَى ثَغَرٍ، أَيْقُولُ النَّاسُ: هَذَا هُوَ الطَّيِّبُ الْمُسْلِمُ يَبْتَزُّنَا وَبِلَجُنَّا إِلَى تَحَالِيلٍ طَبِيعِيٍّ لَسْنَا بِحَاجَتِهَا! الْمُحَامِي عَلَى ثَغَرٍ، الْفَعْلَمُ فِي الصَّفِّ عَلَى ثَغَرٍ، وَاللَّهُ كُلُّ مَثَلٍ عَلَى ثَغَرٍ يَا كِرَامَ، فَلْنَقْنَدِي بِأَبِي بَكْرٍ يَقُولُ: (نَمَّ الدِّينُ أَيْنَعُمُ وَأَنَا حَيٌّ؟).

سَيِّدُنَا عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَحَمَّلَ الْمَسْئُولِيَّةَ:

ثم إذا أتينا إلى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَأْتِي عَامَ الْمَجَاعَةِ، انظُرُوا إِلَى تَحَمُّلِ الْمَسْئُولِيَّةِ، فَيُحَرِّمُ الطَّعَامَ عَلَى نَفْسِهِ وَيَقُولُ لِبَطْنِهِ وَقَدْ أَكَلَ الشَّعِيرَ يَقُولُ: < لَنْ أَكَلَ الطَّعَامَ وَالنَّاسُ جُوعَى.

كان يقول: < تَحَمَّلُ لِلْمَسْئُولِيَّةِ أَنَا مَسْئُولٌ.

كان يقول: <، عِنْدِي مَسْئُولِيَّةٌ فِي اللَّيْلِ وَعِنْدِي مَسْئُولِيَّةٌ فِي النَّهَارِ، فَالنَّوْمُ قَلِيلٌ مَسْئُولِيَّتِي كَبِيرَةٌ.

رَبْعِي بْنُ عَامِرٍ لَمَّا دَخَلَ عَلَى رَسْتَمِ قَائِدِ الْفُرْسِ وَقَالَ لَهُ: مَا الَّذِي جَاءَ بِكُمْ؟ قَالَ: < نَحْنُ مَنِ ابْتَعْنَا اللَّهَ، هَذِهِ مَسْئُولِيَّتِي أُرِيدُ أَنْ أَقُومَ بِهَا.

{ وقال زيد بن ثابت: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أُحُدٍ أطلبُ سعدَ بنَ الرَّبيع، فقال لي: إن رأيته فأقرئه مِنِّي السلام، وقُلْ له: يقولُ لك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: كيف تجِدُكَ؟ قال: فجعلتُ أطوفُ بين القتلى، فأُتيتُهُ وهو بأخِرِ رَمَقٍ، وفيه سبعونَ ضربةً، ما بين طَعْنَةٍ بِرُمَحٍ، وضَرْبَةٍ بِسَيْفٍ، ورميةٍ بِسَهْمٍ، فقلتُ: يا سعدُ، إنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقرأُ عليك السلام، ويقولُ لك: أخبرني كيف تجِدُكَ؟ فقال: وعلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم السلام، قُلْ له: يا رسولَ الله، أجدُ ريحَ الجنةِ، وقُلْ لقومي الأنصار: لا عُذْرَ لكم عند الله إن خُلِصَ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وفيكم عيبٌ تطرِفُ، وفاضت نفسُهُ مِن وقتهِ {
(شعيب الأرنؤوط تخريج زاد المعاد)

في اللحظة الأخيرة يتحمّل المسؤولية وهو يموت، لا عُذْرَ لكم أن يؤتى الإسلام وأنتم شاهدون، تحمّل المسؤولية.

كيف نتحمّل المسؤولية؟

كيف نتحمّل المسؤولية؟ أولاً بمراقبة الله تعالى، والله أيُّها الكرام لا يمكن أن يتحمّل أحدُ المسؤولية الحقّة إلا إذا كان يعلم أنّ الله ناظرٌ إليه، القوانين تُحمّل الناس بعض المسؤوليات وهي مطلوبة، لكن المراقبة تحمّله المسؤولية، لماذا يكون مسرعاً ثم فجأةً يُخفّف سرعته؟ لأنه ينظر إلى الشرطي الواقف ينتظره ليخالفه، أو إلى الكاميرا المثبتة التي ستسجّر سرعته، يشغّر بالمراقبة فيتحمّل المسؤولية، المراقبة أولاً مراقبة الله تعالى.
هذا سهل بن عبد الله التستري يقول: <> المراقبة أولاً أن تُراقب الله.

ليس في ديننا دنيا ودين:

الأمر الثاني: ألا نفصل بين دنيا ودين، أحبائنا الكرام نحن ليس في ديننا دنيا ودين، يقومون أحياناً بعمل برامج إذاعية وتلفزيونية دنيا ودين، تمييع للمصطلحات، ليس هناك دنيا في مقابل دين، هو دين، الدنيا والدين دين، فعلم ابنك أنه عندما يُرتّب سريره صباحاً يتحمّل المسؤولية، يرتبه إرضاءً لربه وليس إرضاءً لأمه ولا لآبيه، طبعاً بر الوالدين مطلوب، لكن يُرتّب حتى السرير إرضاءً لربه، ليس هناك دنيا ودين كله دين، وبذلك يتحمّل الإنسان مسؤولياته الدنيوية ويعتبرها دنياً يدين به الله تعالى.

إذا أردت أن يتحمّل ابنك مسؤوليةً فحمّله المسؤولية:

الأمر الثالث: إذا أردت أن يتحمّل ابنك مسؤوليةً فحمّله المسؤولية، بعض الآباء يقول لك: ابني لا يتحمّل المسؤولية، متى حمّلتَه المسؤولية ولم يحملها؟ يقول لك: أخاف عليه، إذاً لن يحمل المسؤولية، ما دمت تخاف عليه لن يحمل المسؤولية، وكله بمهمة، كلّه بمهمة ثم تابعه على تنفيذها، ثم عزّزه، امدحه عندما ينفذها فيتعلّم تحمّل المسؤولية.
أسامة بن زيد أيُّها الكرام كان عُمره لم يصل إلى الثامنة عشرة لقا بعته رسول الله صلى الله عليه وسلم قائداً على جيشٍ إلى أرض البلقاء في الشام، وفي الجيش أبو بكر وعُمر رضي الله عنهما، وأنفذ البعث أبو بكر رضي الله عنه، ووصل إلى البلقاء أسامة بن زيد وأربع الروم، وهو ابن ثمانٍ عشرة سنة، واليوم ابن الثماني عشرة سنة يبحث عن الفريق الفائز في المباراة.
إذا درسنا سيرة أسامة بن زيد سنجد أنه حمّل المسؤولية، حمل هم الدين من نعمة أطفاره، فأنت حمّل ابنك المسؤولية قُلْ له: أنت مسؤول، وكلّه بمهمة طبعاً مع المراقبة، والمهمات التي تكون تحت نظرك لكن عن بُعد، وكلّه قُلْ له افعل كذا، أريد منك كذا في البيت كذا في المدرسة، حمّله المسؤولية، تقول الأم: دائماً أدّرّسه صار في الصف السادس وما زلت أدّرّسه كل يوم، لماذا؟ قال: حتى يأتي بالعلامة التامة، فليأتني بتسعةٍ من عشرة أو ثمانٍ من عشرة، لكن بشرط أن يتحمّل المسؤولية، أنه يدرس هو ويُحضّر هو للامتحان، لا بُدّ أن يتحمّل المسؤولية، وإلا لن يتحملها إذا لم نُحمّله نحن المسؤولية.

دائرة الممكن تتسع بالأعمال لا بالآمال:

الأمر الأخير أيُّها الكرام: كيف نتحمّل المسؤولية؟ أن نتحرك ضمن دائرة الممكن، فدائرة الممكن تتسع بالأعمال لا بالآمال، يعني شابٌ يقول لي: والله لم تأتِ اللحظة المناسبة بعد لأحمل المسؤولية، لم تأتِ حتى الآن اللحظة المناسبة لأقوم بدوري في بناء أمتي، لم تأتِ اللحظة ما رأيك؟ قلت له لن تأتِ هذه اللحظة أبشّرك من الآن، ستموت قبل أن تأتِ هذه اللحظة، الذي ينتظر اللحظة المناسبة ليتحمّل المسؤولية، يُبشّره من الآن لن تأتِ هذه اللحظة المناسبة، فلتتحرك ضمن دائرة الممكن.
من تلبس إبليس على الناس أنه يُرْدهم بالممكنات وطمّعهم بالمستحيلات، أنت إن شاء الله ستكون في الجيش الذي سيفتح الأقصى، ويجب أن تُشجّع أبناءنا على ذلك، لكن الآن الذي بين يديك لماذا لا تفعل به شيئاً؟ لماذا لا تقوم الآن لنصرة أمتك بالممكن، فيُرْده بما بين يديه ويطمّعه بما هو بعيدٌ عنه نسبياً، فلا هو يُحقّق البعيد ولا القريب، فلا بُدّ أن نتحرك ضمن دائرة الممكن، دائرة الممكن تتسع بالأعمال لا بالآمال.
أيُّها الإخوة الكرام: حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسِبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن تُوزن عليكم، واعلموا أنّ عَمَلَك الموت قد تخطّانا إلى غيرنا وسيخطئ غيرنا إلينا فلتنخذ حذرنا، الكيّس من دان نفسه وعمل لقا بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني، واستغفروا الله.
الحمد لله ربّ العالمين، وأشهد أنّ لا إله إلا الله وليّ الصالحين، اللهم صلِّ وسلم وبارك على نبينا محمدٍ وعلى آله وأصحابه أجمعين.

الدعاء:

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، إنك يا مولانا سمعٌ قريبٌ مجيبٌ للدعوات.
اللهم برحمتك عَمَّنَا، واكفنا اللهم شرّاً ما أهُمنا وأَعَمَّنَا، وعلى الإيمان الكامل والكتاب والسنة توكّفاً، نلّناك وأنت راضٍ عَمَّنَا، لا إله إلا أنت سبحانك إنّنا كُنا من الظالمين، وأنت أرحم الراحمين.
وارزقنا اللهم حُسْنَ الخاتمة، واجعل أسعد أيامنا يوم نلّناك وأنت راضٍ عَمَّنَا، أنت حسبنا عليك اتكالنا.
اللهم لك الحمد على ما أنعمت به علينا من نعمة الغيث من السماء.
اللهم فأتم نعمتك وفضلك علينا يا أكرم الأكرمين، وارو البلاد والعباد بفيض بركاتك يا كريم.
اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ولا تُهلِكنا بالسنين ولا تُعاملنا بفعل المُسيئين.
اللهم كُنْ لأهلنا المُستضعفين في مشارق الأرض ومغاربها، في فلسطين وفي عَزَّة وفي السودان وفي كل مكانٍ يُذكر فيه اسمك يا الله، كُنْ لهم عوناً ومُعِيناً، وناصرراً وحافظاً ومؤيداً وأميناً.
اللهم أطعم جائعهم، واكسُ عريانهم، وارحم مُصابهم، وآو غريبهم، وألهمنا سبيلاً لنصرتهم يا أرحم الراحمين فإنك أعلم بحالنا.
انشر الأمن والأمان في ربوع بلادنا، ووفّق القائمين عليها للعمل بكتابك وسنة نبيك صلى الله عليه وسلم، والحمد لله ربّ العالمين.